تاريخ الدفن
في مقبرة وادي السلام

الباحثة: شروق لطيف عبد السادة
كلية الآثار/ جامعة القادسية
ShrooqL.Abdulsada@gmail.com

أ. م. د. شيماء جاسم حسين
كلية الآثار/ جامعة القادسية
Shamaa.jasimim@qu.edu.iq

الخلاصة:
تنتهي مسيرة كل انسان في الحياة بالموت، فهو الحق الذي فرضه الله تعالى على الموجودات ، والانسان من بين هذه الموجودات التي يخصها الله بالدفن ،فكانت الأرض هي مأوى تلك الأجساد وأصبحت بمرور الوقت لها مواقع خاصة ومساحات محدودة، حتى أصبح لكل مدينة مقبرتها الخاصة بها، ونالت مقبرة النجف الأشرف والتي تُعرف بمقبرة وادي السلام فكانت سامية ومنزلة رفيعة لدى المسلمين تبركاً بضمها للجسد الطاهرة للامام علي (ع) وهو ما دفع الناس لدفن امواتهم فيها .
وما صفحات هذا البحث إلا بيان تأريخ نشأة تلك المقبرة وما مرت بها من مراحل في تطورها وتوسعها استناداً إلى الروايات التاريخية ،وما ضمته من مدافن لشخصيات مبرّزة دينية كالإنبياء ومنهم أدم ونوح وهود وصالح (ع) اضافة إلى عدد من الصحابة والتابعين،(رض) ، والعلماء ورجال الدين وغيرهم ،كما انه يُبين مايسبق عملية الدفن من اجراءات ومراسيم.

الكلمات المفتاحية : الأمام علي (ع) ، وادي السلام، الدفن ، المقبرة، التشييع.

Date of burial
in Wadi Al Salam Cemetery

Recearcher
Shrooq Lateef Abdulsada
College of Archaeolgy/
University of Al-Qadisiyah
ShrooqL.Abdulsada@gmail.com

Assist. Prof. Dr.
Shaymaa Jasim Hussain
College of Archaeolgy/
University of Al-Qadisiyah
Shamaa.jasimim@qu.edu.iq

Abstract
The biography of every person who has life ends with death, for it is the right that God Almighty imposed on the creatures, and the human being among these Immune creatures is the bearer that God singled out for the chin, so the earth was the shelter of those holidays and shut up over time to have special sites and specific pores, so that every city has its own cemetery In it, the honorable Najaf cemetery, whichh is known as the cemetery of Odin al-Salam, has a pure status and a high status among Muslims, as a blessing for Its inclusion of the pure body of Imam Ali (peace be upon him). This Is what prompted people to bury their dead in It, and what are the pages of this research? From the companions and followers (may God be pleased with him), scholars, clerics and

others, and It also shows the above procedures for the chin process and ceremony.

Key Word: Imam Ali (pbuh), Valley of Peace, burial, cemetery, funeral.

المقدمة:

تعتبر مدينة النجف الأشرف من المدن المقدسة ذات الطابع الديني والحضاري ، فهي ارض الأنبياء والاولياء والصالحين ودخلت مدينة النجف التأريخ من أوسع الابواب كونها حظيت بدفن سيد الاوصياء الأمام علي (ع) ، ولهذا احتلت مدينة النجف اهمية كبرى لدى العديد من المسلمين كما ذكرنا ذلك لوجود المرقد الشريف.

أصبحت النجف ضاحية صغيرة تابعة إلى مدينة الكوفة في العصر العباسي، وعندها اخذ الناس يفضلون السكن والدفن بجوار المرقد الشريف ، لان الروايات الدينية التي نُقلت عن أهل البيت (ع) تؤكد على فضيلة الدفن في هذه البقعة المقدسة .

وان عملية الدفن في مقبرة وادي السلام لم تقتصر على العراقين فقط، بل تعدتها إلى دفن موتى الكثير من البلدان الإسلامية إذ كانت تنقل إليها الجنائز على ظهور البغال ، ثم أخذت القبور بالازدياد شيئا فشيئا حتى عُدت مقبرة وادي السلام من اكبر مقابر العالم من حيث المساحة وعدد قبورها ،ومن الجدير بالذكر أن تسمية وادي السلام لاتشير إلى وجود وادي بل يعني انها أرض السلام والاطمئنان .

وتميزت طوبوغرافية المقبرة بخصائص منها الجفاف التام وارتفاع ارضها عما جاورها فمن الصعب ان تتعرض للفيضان ، حتى وان غمرتها مياه الامطار فإن طبيعة الصخور والطبقات الرملية جعلت تربة المقبرة غير ملائمة للاحتفاظ بالمياه،وهذا مايسهل ويسّرَ عمليات الدفن على مر الزمن منذ اتخاذها مقبرة.

تاريخ الدفن:

يعود تاريخ الدفن في أرض النجف إلى العصر الراشدي ،فقد شهد علي أبن ابي طالب (ع) خلال خلافته في الكوفة دفن الصحابة والتابعين أي قبل ان تتشرف ظهر الكوفة بجسده الطاهر (١) . بينما يرجُح البعض ان تاريخ الدفن يرجع إلى عهد هارون الرشيد (٢) ، في حين هناك من يرى أن تاريخ الدفن يعود إلى زمن في التاريخ إلى زمن الأنبياء والصالحين استنادا إلى الروايات والزيارات منها (السلام عليك وعلى ضجعيك ادم ونوح، وعلى جاريك هود وصالح) (٣).

وذكرت جملة من الاحاديث على قدم ارض النجف وقدسيتها، فعن بدر بن خليل الأسدي عن رجل من أهل الشام.عن أمير المؤمنين (أن ظهر الكوفة (النجف) أول بقعه عُبدَ الله فيها لمَا أمر الملائكه أن يسجدو لأدم سجدوا على ظهر الكوفة) (٤).

والنجف قبل ان تكون مسكناً عُرفت كمدفن حيث حدد النبي محمد (ص) مكان دفن أمير المؤمنين في هذه الأرض المباركة وانه سيدفن بين الذكوات البيض في ظهر الكوفة قتيلا، فيروي أبن عباس أن الرسول الله (ص) قال لعلي (ع)

(يا علي أن الله عز وجل عرض مودتنا أهل البيت على السموات فأول من إجاب منها السابعة فزينها بالعرش والكرسي ثم السماء الرابعة فزينها بالبيت المعمور ثم سماء الدنيا فزينها بالنجوم ثم ارض الحجاز فزينها بيت المقدس ثم ارض طيبة فشرفها بقبري ثم ارض كوفان فشرفها بقبرك يا علي فقال يا رسول الله أقبرّ بكوفان العراق؟ فقال نعم يا علي تقبر بظاهرها قتيلا بين الغريين والذكوات البيض)(٥) .

وقد حظيت هذه البقعة المختارة من بين بقاع الارض بان تكون موضعاً للدفن ، فعن عروةالجعفي عن ابراهيم القرشي عن عمر بن العاص عن النبي (ص) قال :

(يبعث من ظهر الكوفة سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب) ()، وقد اكدت الاحاديث المروية عن أهل البيت في فضيلة الدفن في هذه التربة المقدسة ويقال ان الأمام علي(ع) وقف ذات يوم في ظهر الكوفة مخاطباً الارواح فيها ، فقد روى الكليني في الكافي رواية عن المرتجل بن معمر عن ذريح المحاربي عن عباد الأسدي عن حبه العرني قال:

(خرجت مع أمير المؤمنين (ع) إلى الظهر فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام فقمت بقيامه حتى اعييت ثم جلست حتى مللت ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني أولا ثم جلست حتى مللت ثم قمت وجمعت ردائي فقلت: يا أمير المؤمنين اني قد اشفقت عليك من طول القيام فراحه ساعة ،ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال لي :

يا حبة أن هو الا محادثة مؤمن أو مؤانسة ، قلت :يا أمير المؤمنين وانهم لكذلك قال : نعم ولوكُشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً متحابين يتحادثون ,فقلت :اجسام إم ارواح، فقال: ارواح ،ثم فقال:(مامن مؤمن يموت في بقعة من بقاع الارض إلا قيل لروحه الحقي بوادي السلام وانها لبقعه من جنة عدن)().

وعليه فانها تمتعت بخصوصية الدفن مما جعل المسلمون يتشوقون لها وان تكون مثواهم الاخير، ثم برزت أهميتها واخذت صداها الكبير بعد تَشرُفها بضمها لجسد

الأمام(ع)، فبعد كشف موضع القبر الشريف تهافت نحوه الناس لدفن موتاهم حرصا منهم لينالوا شفاعة الأمام علي (ع)، أي انه كان مخفياً لفترة طويلة خوفاً من الاعتداء على حرمته خلال العصر الاموي وعليه تم اخفاء موضع قبره بعد دفنة بوصيةٍ اوصاها لولديهِ كأجراء احترازي لعلمه بأن الأمر سيصير إلى اعدائه من بعده بأنهم لا يتورعون عن نبش القبر بغضاًوعداوةً به .

وتذكر بعض المصادر أن معاوية عزم على نبش قبر أمير المؤمنين (ع) فشاور في ذلك مروان أبن الحكم يقول له ،كان علي أسره يوم الجمل فأمُن عليه واطلقه ويحرضه بذلك على نبش قبر علي ويذكره قتلى بدر من بني عبد الشمس ومن قتل منهم على الكفر غير موسد ولا مدفون ، ثم استشار معاويه ايضا عبد الله بن عامر بن كريز على النبش ،فقال : (ما احب ان تعلم مكان قبره ولا أن تسأل عنه ولا احب أن تكون هذه العقوبة بيننا وبين قومنا)()،وهذه هي سجيتهم في التعامل مع خصومهم، ولهذا السبب لم يطلع على قبره الشريف إلا اولاده والخلص من شيعتة وكانوا يزورونه في هذا الموضع الذي يزار الآن سراً، وبسند صحيح عن عمير عن رجاله قيل للحسين(ع): (أين دفنتم أمير المؤمنين قال خرجنا به ليلا على مسجد الاشعث حتى خرجنا به الى الظهر بجنب الغريين فدفناه هناك) ().

وعن جابر بن يزيد قال:(سألت ابا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أين دفنتم أمير المؤمنين ؟ قال دفُن بناحية الغريين ودفُن قبل طلوع الفجر....) ().

وذكر أبن الحديد في شرح نهج البلاغة (أن أبناء الناس أعرف بقبور ابائهم من غيرهم من الاجانب ، وهذا القبر الذي بالغري هو الذي كان بنو علي يزورونه قديما وحديثا ويقولون هذا قبر ابينا لا شك احد في ذلك من الشيعة ولا من غيرهم)().

وعليه لا نستبعد مطلقا أن تلك الاحزان العارمة في قلوب أهل البيت دفعتهم إلى زيارته وهُمّ متشوقون إلى مرقده الشريف هم و الخُلصّ من اتباعة يتعاهدونة بالزيارة والسلام سرا بعيدا عن اعين الرقباء، فقد زاره الأمامان الحسن والحسين (ع) والامام علي بن الحسين إذ تذكر الرواية انه (.. وقف على القبر فبكى وقال السلام عليك ياأمير المؤمنين..)().

وفي روايةأخرى زارَ الأمام علي بن الحسين ضريح جده عليهما السلام برفقة ابي حمزه الثمُالي ، وفيها قال الثُمالي (يَبنَ رسول الله ما اقدَمَك الينا؟ قال مارأيتُ ولو عَلِمَ الناسُ ما فيهِ من الفعِلّ لأتوه ولو حبوا ،هل لكَ ان تزور معيَ قبرَ جدي علي بن ابي طالب (ع) ،قُلتُ: أجل فَسِرتُ في ظلِ ناقةٍ يُحديثُني

حتى اتينا الغريين وهي بقعة بيضاءَ تلمعُ نورا فنزل عن ناقتهِ ومرغَ خديه وقال: ياأباحمزة هذا قبرُ جدي علي بن ابي طالب)([١٣].

من خلال هذه الروايات وزيارت ائمة أهل البيت إلى قبر الأمام علي (عليهم السلام) سرا لم نلاحظ أي اشارة عن وجود دفن من قبل الموالين قرب قبر أمير المؤمنين في العصر الأموي ، اذن متى بدأ الدفن حول المشهد الشريف؟

شهدت فترة أمامة الصادق (ع) انفراجة واسعة وذلك بسبب انتقال الحكم من الامويين إلى العباسيين ، فكان الامويون في دور الاحتضار والعباسيون في دور انطلاق وتسليم للسلطة، وخصوصا أن العباسيين خرجوا بشعار(الرضا من ال محمد) ([٤]، ولهذا زار الأمام الصادق (ع) العراق عدة مرات بطلب من الخلفاء العباسيين وكان أولهم السفاح وثم المنصور([٥].

(فعن صفوان الجمال قال لما وافيت مع جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الكوفة يريد ابا جعفرالمنصورقال: ياصفوان انخ الراحلة فهذا قبر جدي)([٦].

وفي ظل هذه الظروف السياسية قد اشيع أمر القبر بين الناس من دون خوف لان العباسيين كانوا في ذلك الوقت بحاجة كبيرة إلى العلويين فسمحت هذه الأسباب للامام الصادق (ع) التردد لزيارة القبر الشريف ،كما أنه شخصَ موضع القبر بدقة من خلال الشواخص الطبيعية، حيث تنص الرواية عن صفوان الجمال قال: عبد الله (اذا انتهيت إلى ارض الغري ظهر الكوفة فاجعله خلف ظهرك وتوجه إلى نحو النجف (وتيامن)قليلا فأذا انتهيت إلى الذكوات البيض والثنية أمامه فذلك قبر جدي) فعرفته الشيعة واخذوا يزورونه ويدفنون موتاهم حوله ([٧].

اما قبل ذلك فقد اعتاد أهل الكوفة على دفن موتاهم في مقابر واقعة في خطط القبائل وعرفت عندهم باسم الجبانات، كما أن هناك مقبرة تقع خلف خندق الكوفة تسمى الثوية وكانت تشكل مساحه شاسعة من الأرض تمتد بين الكوفة والحيرة إلى ظهريهما تؤلف المنطقة(طرف البر) ،حيث تعد مدينة النجف في الوقت الحاضر جزء منها([٨] ،ودفن فيها العديد من الصحابة منهم (أبو موسى الاشعري، المغيرة بن شعية، خباب بن الارت،عدي بن حاتم الطائي، زياد أبن أبيه)، وسميت بالثوية لان أبن النعمان قديماً اقام فيها سجناً لمن يريد قتله ويقال لمن حبس فيها ثوى ([٩]. ، وتنتهي ارض الثوية بارض الغري أو الغريين وان كلا من الثوية والغري يشكلان (ظهر الكوفة)([١٠].

وكانت قبور أهل الكوفة في القرن الأول الهجري لم تعرف الشواهد والقباب فليس فوقها اكثر من دالة تدل عليها ولا تبعد قبورهم عن بيوتهم كثيرا([١١].

ثم اخذت مقبرة الثوية بعد ذلك بالاختفاء شيئا فشيئا حينما فضل أهل الكوفة نقل موتاهم ودفنهم بجوار مرقد الأمام علي (ع) ،لكن لما استتب الامرللعباسيين ولم تعد لهم الحاجة إلى مؤازرة العلويين ضد الامويون هُجِرَ القبر الشريف ولم يعُد يزُرهُ زائر خشية من العباسيين ما جعل الناس تدفن موتاهم سرا أو خفيتا خوفا من بطش العباسيين([١٢].

وبقيَ القبرعلى هذا الحال سنوات وبقيت المجاورة والدفن للمرقد بين الوجود والعدم والقلق والخوف من العباسيين حتى بناء قبة للمرقد أيام خلافة هارون الرشيد(١٧٠/١٩٣ هـ) ، ومن ثم أصبحت النجف ضاحية صغيرة حول الضريح وعاد الدفن والسكن ،الا أن الخلفاء العباسيين الذين اتو بعد هارون الرشيد نصبوا العداء لعترة الرسول (ص) ثم هُجرَ الضريح مره أخرى وخربت القبة ، وعليه نلاحظ أن عملية الدفن وتواجد الموالين كانت بين السماح والمنع خلال خلافة العباسيين.([١٣].

ولكن بعد زمن طويل تمكن محمد بن زيد الداعي العلوي[١٤]حوالي سنة ٢٨٠ هـ من بناء المرقد ،وبعد سنوات كثيره جاء عضد الدولة فناخسروبن بويه ([١٥](٣٦٧ هـ/ ٩٧٧ م) ، الذي اهتم كثيرا بتعمير المشهد العلوي وستر حيطان المشهد بخشب من الساج المنقوش ومن ذلك الوقت بدأ الدفن دون انقطاع حتى أصبح نقل الموتى إلى النجف تقليدا شائعا مستمرا حتى الآن ([١٦].

وفي سنة١١٧٩ هـ/ ١٧٦٥ م زار الرحالة الاوروبي نيبور مدينة النجف وقدر عدد الموتى الذين يؤتي بهم من أماكن مختلفة ليدفنوا بمعدل ألفي ميت كل سنة ()[٢].

أما الرحاله الانكليزي لوفتس الذي زار النجف سنة١٢٧٠ هـ/ ١٨٥٣ م يقول لقدسية النجف كان يقصدها الزوار الشيعة من جميع الانحاء على حد قوله فقدر عدد الزوار كل سنه بمقدار ٨٠,٠٠٠ ،شخص كما قدر عدد الجنائز مابين (٥٠٠٠) و(٨٠٠٠)ويذكر أنه كان يتم كان نقل الجنائز من بعيد بصناديق مغلفة باللباد الخشن وتحمل على ظهور البغال، وكان منظر هذة الصناديق منظرا مألوفا في الطريق المؤدي إلى النجف ،وتراوحت الاجورالتي تفرض على الجنائز تتراوح مابين عشرة توامين ومئتي تومان ()[٢].

وقد وضحت لنا الرحالة الفرنسية مدام ديولا فوا عن الجنائز التي كانت تنقل إلى المدن المقدسة في العراق وانها رأت ذلك بعينها قائلة (ولفتت نظري اشياء مركومة بعضها فوق بعض فتقدمت منها اتفحصها وماكدت أمد يدي حتى إرتدت الي كأنه قد مسها تيار كهربائي واضطربت اشد اضطراب كانت هذه الأشياء المخرمة المكومة جثث موتى بعضها قد لفت في سيباط أو سجاد وحزمت بحبال وبعضها في توابيت خشبية وذكرت بأن الدفن في المدن المقدسة بدأ منذ مقتل الأمام الحسين عليه السلام ()[٢]، وهذا غير صحيح إذ أن الدفن يرجع إلى زمن أبعد من ذلك كما أشرنا مسبقاً ،في حين ترى الرحالة أن بلنت بأعتقاد المسلمين الشيعة في الدفن عند الأمام علي (ع)

قائلة:(في اعتقادهم الديني أن أي مسلم يدفن على مقربة من العتبة سينال النجاة والمغفرة وكان من نتيجة ذلك أن الشيعة من العالم كله ومن بلاد فارس خاصة يأتون إلى النجف ليدفنوا فيها كما وترسل اعداد هائلة من الجثث لتدفن ها هنا)()[٣].

اما الإحصاءات العثمانية لعامي ١٩١٢ - ١٩١٣ م قدرت عدد الجنائز المنقولة من خارج العراق بحوالي ٧٥٥٨ جنازة، وفرضت الدولة العثمانية على نقل الجنائز ودفنها في المدن المقدسة رسوم وسميت(بالدفنيةأو ترابية) ارض النجف ،وقد نشرت الدولة العثمانية مراكز الحجر الصحي على الحدود العراقية الايرانية وهي التي تفرض رسم الدخول على الجنائز ، ففي عهد مدحت باشا بلغ مقدارها ١٠٠٠ قرانا اذا كان الدفن داخل سور المدينة أما خارجها فكان ١٠٠ قرانا، وفي عام ١٨٧٩ أصدرت الحكومة العثمانية رسوم الدفن كانت كالتالي:

الدفن في رواق المرقد ٥٠٠ قرش ،ايوان الذهب٢٥٠ قرش، حُجَر الصحن العلوي ٢٥٠ قرش ،ارض الصحن ٢٠٠ ومقبرة وادي السلام ٥٠ قرش ، كما أن الحكومة العثمانية لم تفرض رسوماً على الدفن فقط وانما أصدرت في عام ١٩١٣ ضوابط بناء القبور وهو أن يسمح ببناء قبة على القبر قائمة على اعمدة وكذلك تحديد مساحة القبر ٢,٥٠ م طولا و١,٥ م عرضا اما الارتفاع ٣,٧٥ م، واذا زادت مساحة القبر فيتم دفع رسوم على كل متر زائد()[٣].

وكانت الجنائز التي تحمل بالجمله من ايران تسمى (الامانة) اي انها تودع الجثة في الأرض مدة سنة واحدة واذا انتهت السنة جاز نقل الجثت وعندئذ اصبحت سوى عظام جافة وذلك لتجنب الضرر الناتج منها ، ومن ثم لفها بالقماش وتُغلف بالقصب وتشد بالحبال وتحمل كل جنازتين أو أكثر على دابة إلى مقبرة النجف صورة رقم (١) ()[٣].

دُفناء الروضة الحيدرية:

توالت العمارة على المشهد الشريف فأصبح للروضة الحيدرية صحن يتكون من طابقين وفي كل طابق حُجر كثيرة ،اما حُجر الطابق الأول من الصحن فهي مقابر العلماء واهل الجاه ، وزُين أعلى الجدران عند مستوى التسقيف بأيات قرآنية تسر الناظرين ، وجدران الاروقة مكسية بقطع المرايا الهندسية ()[٣].

ويعود الدفن في الحضرة المطهرة إلى زمن بعيد من التاريخ اي قبل ظهور مقبرة وادي السلام ، إذ كان البعض يوصي بالدفن في الصحن العلوي واروقته لذلك برزت مقابر في الصحن العلوي ذات بعد تاريخي من ملوك وسلاطين وعلماء الدين وشخصيات اجتماعية مرموقة،وكانت ارضية الصحن الحيدري منخفضة كثيرة وكانت مزدحمة بالقبور وكان من الصعب المشي في الصحن المقدس لذلك عُبدت ارضية الصحن بالصخر المرمري وحفرت سراديب ونقل لها كثير من الأجساد سنه ١٢٠٦()[٣].

وفي شهر شوال سنة ١٣١٥ ه أمر السلطان عبد الحميد الثاني بتجديد الصحن المقدس واصلاح السراديب()[٣]. فظهرت قبور بعض السلاطين منها مقابر ال بويه والتي تعرف اليوم بقبور السلاطين ()[٣]،وقد دفن فيها عضد الدولة فناخسروا بن ركن الدولة حسن بن بويه عام ٣٧٣ ه / ٩٨٣ م وبرزت مقابر وسراديب أخرى تعود للامراء الجلائرين وكما ضم في الصحن العلوي قبور تعود للصفويين والقاجاريين()[٣].

ومن إعلام دُفناء الروضةالحيدرية كلا من سماحة الشيخ اية الله العظمى أستاذ الفقهاء والمجتهدين الشيخ ضياء الدين العراقي ودفن في حجرة رقم (١) سنة ١٣١٦ ه / ١٨٩٨ م وسماحةالشيخ اية الله العظمى السيد عدنان بن السيد بشيرالغريفي دفن في حجرة رقم (٢) سنه ١٣٤٠ ه ()[٣].

وهناك بعض من الأدباء والشعراء كان لهم نصيباً أن تنقل جثامينهم وتدفن في الصحن الحيدري من الموالين لأهل البيت(ع) ، ومنهم الشيخ جعفر بن محمد بن علي بن ابراهيم بن محمد بن علي الشباني توفى سنة ١٣٥٦ ه / ١٩٣٧م ودفن في مجاز الساباط من الجهة الشمالية ، اما الشاعر الذي كان له نصيب في تنظيم الشعر والادب السيد الميرزا جعفر مهدي بن الحسن القزويني الحلي فقد دفن في الصحن الشريف ()[٣].

تبين لنا أن الصحن العلوي جُعلت ارضية وكذلك حُجره التي خلف الاواوين والسراديب كمقابر لدفن، وقد ارتبطت تلك القبور عادة بدفن السلاطين والامراء وعلماء الدين والوجهاء ، ولم يكن بوسع عامة الناس الدفن في المرقد العلوي وربما مرجع ذلك لتكاليف النقل والدفن الباهضة .

مقبرة وادي السلام:

المقبرة هي المكان الذي يدفن فية الموتى وجمعها مقابر ()[٤]، بعد أن اتخذ الناس من النجف موطنا لسكنهم ومقرا لآخرتهم حيث انحصر الدفن قرب مرقد الأمام علي عليه السلام ،إذ لم تكن مقبرة وادي السلام معروفة آنذاك وان المقبرة قديما لم تكن مكتضة بالموتى كما نشاهدها اليوم ،لان الناس في ذلك الوقت يدفنون موتاهم في أماكن متفرقة وقريبة من المنازل التي احاطت بالقبر الشريف ،واذا اردنا ان نعرف شكل المقبرة سابقا كانت على شكل خط من القبور حيث يبدأ من أقصى شمالي غربي النجف حتى شرقها ولم يكن من جهة واحدة بل من جهات متفرقة وقريبة من محيط المدينة، وكانت اكثر عمليات الدفن بالاتجاه الغربي ، وفي نفس الوقت كان الدفن أيضاً موجوداً داخل سور المدينة ،ولان المدينة كانت معرضة إلى هجمات الاعراب فسورت بسور سنه١٢٠٣ه / ١٧٨٨ م وأخذ الناس تدفن موتاها داخل سور المدينة كما نلاحظ ذلك في صورة رقم (٢) وبعد فتره زمنيه ظهرت القبور وراء السور السادس وذلك عندما قل الخوف وحظيت المدينة بحكومة قادرة على توفير الامن اخذ الناس يدفنون وراء السوربالاتجاه الشمالي ،وربما كانوا يرغبون الدفن بهذا الاتجاه لكي تكون قبورهم أقرب نقطه للضريح أو لانه يقع بين الحرمين(النجف و كربلاء)، وعُرف الدفن الذي صار خارج سور المدينة بمقبرة (وادي السلام)صورة رقم (٣) ()[٤].

ونتيجةً للدفن المستمر اخذت المقبرة بالاتساع وبذلك تغير شكلها من الخط المنحني المتقطع إلى الشكل الهلالي أو الدائري الواسع ، ثم تهدم وازيل السور نهائيا عام ١٩٦٤ م مع استمرارية نقل الجنائز من كل ارجاع المعمورة و احتشاد القبور فيها جعل المقبرة ضيقة فبدأ الدفن فيما وراء سور المقبرة لذلك طالب الناس بتوسيع المقبرة و أطلق على القبور في داخل السور (بالمقبرة القديمة) ولتيميزها عن الدفن مابعد السور المنهدم والذي عُرف (بالمقبرة الجديدة) ،وتخطيط المقبرة الجديدة تمتد من المقبرة

القديمة باتجاه الشمال وكان ذلك في سنة ١٩٧٣ ، كما ان عدد الجنائز المنقولة في ذات العام إلى المقبرة ٢٧ بلغ ألف جنازة وأصبحت مقبرة عامة تبلغ مساحتها (١٩٨٠٠٠ م مربع) ([٤٢].

كما تشرفت المقبرة بالمراقد والمقامات حتى أصبحت مقصد كل زائر للتبرك بها ، إذ يقع في شمال مقبرة وادي السلام قبري هود وصالح (عليهم السلام)وهم من المراقد المعروفة ، وشيدت قبة على الضريح في عصر العلامة بحر العلوم([٤٣] اما في الجانب الغربي بين القبور فيقع مقام الأمام الصادق عليه السلام وبجانبه باتجاه الجنوب مقام الأمام المهدي (علية السلام)([٤٤] اما مقام الأمام زين العابدين (عليه السلام)فيقع جنوب غرب المقبرة وفي جنوبه قبر([٤٥] اثيب اليماني ([٤٦]

إذ أن اتسعت مساحة المقبرة كان لابد من توفير مداخل تؤدي إليها ، ففتُحَ مدخل يقع في الطرف الشرقي من المقبرة ويُعد أقدم مداخلها ،وهناك مدخل آخر سُمَي بالمدخل الوسطاني لتوسطه المقبرة يقع في نهاية شارع الطوسي بداية الشارع الملتوي للمقبرة،اما المدخل المهم في المقبرة فهو المدخل الغربي الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية من المقبرة ([٤٧].

وتميزت ارض المقبرة بخصائص منها الجفاف التام لانها جزء من الهضبة الصحراوية ،كما أنها تخلوا من الرائحة الكريهة، اضافة إلى ارضها المرتفعة والتي لايعلوها الماء،ويبلغ الفرق بين ارتفاعها وارتفاع منسوب نهر الفرات تقريبا ٧٥ م وبينها وبين مستوى ارض بحر النجف من جهة الغرب ٩٠ م،كما أن ارتفاع هضبة النجف هو تحصين طبيعي لمقبرتها من اخطار فيضان نهر الفرات فمن الصعب أن تغمرها المياه ، حتى وان غمرتها مياه الأمطار أو السيول فإن طبيعة الصخور والطبقات الرملية جعلت تربة المقبرة غير ملائمة للاحتفاظ بالمياه وهذا ساعد على حفر اللحود كونها تميزت بالصلابة المتوسطة إلى الهشة قليلا ([٤٨]

وتُشرف المقبرة في جهتها الغربية على بحر النجف كما يحيطها من جهتيها الجنوبية والغربية جرفا صخريا حادا يعرف محليا بطار النجف ([٤٩]

وخلال النصف الثاني من القرن العشرين تم ازالة القبور المنتشره في شرق النجف على الطريق الواصل إلى الكوفة لغرض توسيع المدينة وشق الطرق واقامة مواقف سيارات وابنية حكومية واحياء سكنية ،ومُنذ ذلك الحين انحصر الدفن في وادي السلام شمال ضريح الأمام علي (ع) حيث يُحيط المقبرة اليوم جدار من الاسمنت وهذا الجدار حدد شكل المقبرة اذ اعطاها شكلا مستطيلا غير منتظم وقسمت المقبرة إلى قسمين ،القديمة في الجنوب الغربي تطل على بحر النجف وفي الشمال الشرقي المقبرة الجديدة ويخترقهما حوالي ٤٢ طريقا.([٥٠]

المغتسل :

تغسيل الميت هي الخطوة التي تسبق الدفن وفقا للشريعة الاسلامية، وبذا دعت الحاجة إلى توفير مكان لإتمام عملية التغسيل وهو مايطلق عليه بالمغتسل ،كما شاع على السنة العامة تسمية المغيسل ([٥١]

فقد كان الاهالي سابقا يُغسلون موتاهم في ساحة البيت حيث توجد دكة في زاوية من زوايا البيت بقدر طول الانسان وترتفع عن الارض بمقدار متر وبالقرب من هذه الدكة حوض ماء وهو مغتسل خاص بموتى أفراد العائلة ([٥٢]

ولاشك أن المغتسل في مدينة النجف مر بمراحل وذلك حسب حاجة المقبرة وتوسعها وعدد الجنائز التي تُنقل إليها وتُدفن بها ، وشيد المغتسل الاقدم والذي كان يقع في عكد الحمير قرب صوبات بيت القزويني وله باب كبير تدخل منه الجنائز ، والمغتسل الاخر والذي يطلق عليه اسم البركة أو يسمى النبيعة و يقع على جدول النجف قرب المطحنة كما في صورة رقم (٤)، ويوجد خلف البساتين على طريق القناة مغتسل يسمى الطارات صورة رقم (٥) ومغتسل بئر عليوي ايضاً يُعد من أقدم المغتسلات يقع شمال محلة العمارة من المقبرة، تم بنائه في عشرينيات القرن الماضي من قبل الشيخ مخيف من شيوخ الاكرع، ثم بقى برعايه المرجع محمد الحسين كاشف الغطاء ،اما القائم على العمل فيه عليوي عبد مجحم ابومعتوك الشكري واستمر حتى الآن بيد ابنائه ويعتبر هذا المغتسل من تراث ال عليوي الباقي

حتى الأن ، وبعد إتمام غسل المتوفي يذهب به الى زيارة الأمام علي (ع)ثم الصلاة عليه ليُدفن أخيراً في مثواه الأخير في وادي السلام([٣])

هذه النهاية التي يسعى إليها العديد من المسلمين في أن يُدفن جثمانهم في مقبرة وادي السلام كونها اطهر بقاع الارض بعد ماكو المكرمة والمدينة المنورة،وهي محشر المؤمنين هذا ما تنص عليها الروايات فعن الأمام الصادق(عليه السلام) قال(ما من مؤمن يموت في شرق الأرض وغربها الا حشر الله روحه إلى وادي السلام)([٤])

نتائج البحث:

١) تؤكد الروايات الدينية أن أرض النجف هي مكان دفن الموتى منذ القدم بل اكدت بعض الروايات أنها محل سجود الملائكة للآدم (ع).

٢) شهد الأمام علي (ع) خلال خلافتة على دفن الصحابة والتابعين قبل أن تتشرف ظهر الكوفة بجسده الطاهرة.

٣) تم اخفاء قبر الأمام علي (ع) عند دفن حتى لايتعرض لهُ اعداؤه من الامويين والخوارج بالاذى .

٤) كان قبر الأمام علي (ع) يزار سراً من قبل أهل البيت (ع)

٥) اظهر الأمام الصادق (ع) قبر الأمام علي (ع) في بداية العصر العباسي .

٦) اعتاد أهل الكوفة على دفن موتاهم في مقابر واقعة في خطط القبائل عرفت بأسم الجبانات، وكذلك مقبرة الثوية التي تقع خلف خندق الكوفة .

٧) بعد أن عرف المسلمين مكان قبر الأمام علي (ع) فضل الناس السكن والمجاورة حول أو قرب الضريح.

٨) ولان مدينة النجف كانت معرضة إلى هجمات الاعراب آنذاك فسورت بسور سنة ١٢٠٣هـ اخذ الناس تدفن موتاها داخل سورها.

٩) حظيت مدينة النجف بعد فترة زمنية بحكومة قادرة على توفير الأمن اخذ الناس تدفن الموتى وراء السور بالاتجاة الشمالي

١٠) المقبرة التي ظهرت خارج السور عرفت بمقبرة وادي السلام.

١١) كان الاهالي سابقاً يُغسلون موتاهم في ساحة البيت

١٢) عندما توسعت المقبرة نتيجة عدد الجنائز التي تُنقل إليها وتُدفن فيها تطلبت الحاجة إلى بناء المغتسل .

١٣) تميزت مقبرة وادي السلام بأنها لاتقتصر على دفن موتى أهل البلد فقط بل تضم جثامين جنسيات مختلفة من المسلمين.

١٤) ان طوبوغرافية مقبرة وادي السلام اكسبتها اهمية خاصة بحيث لا تتعرض رفاة الموتى إلى الغرق سواء بواسطة الفيضان أو السيول .

صورة رقم (١)

صورة رقم (٢)

صورة رقم (٣)

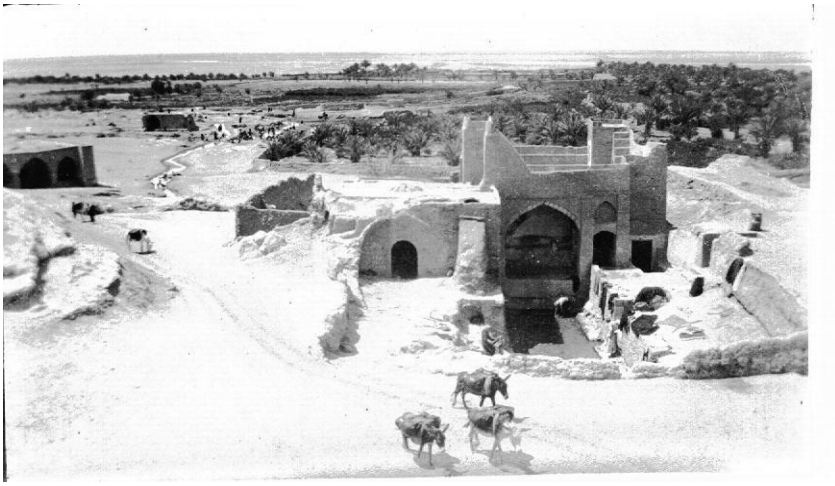

صورة رقم (٤)

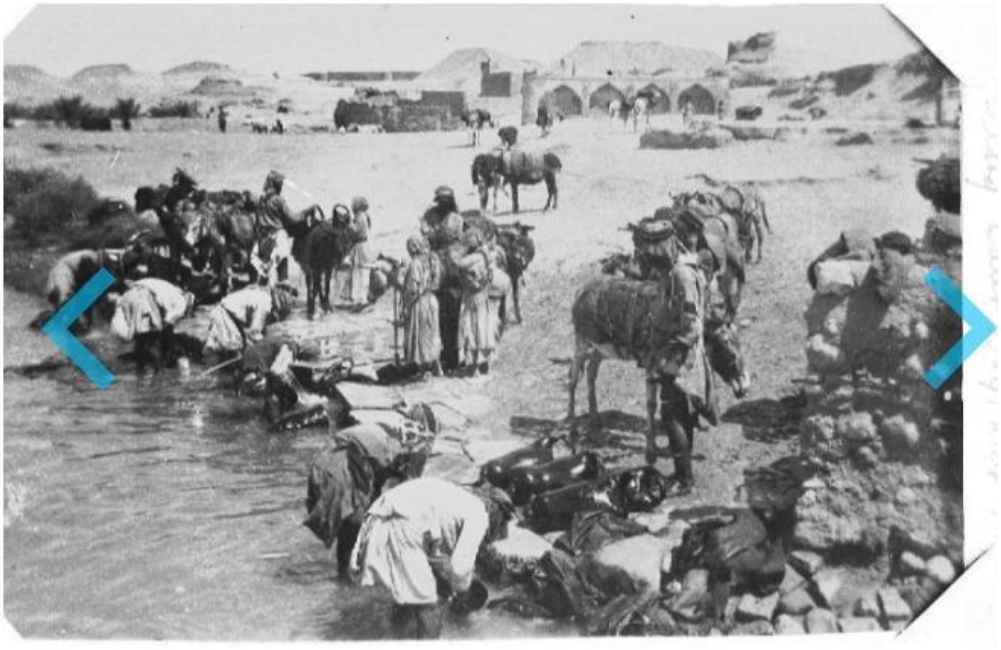

صورة رقم (٥)

الهوامش والمصادر :

1)الخوانساري، الميرزا، محمد باقر الموسوي، تحقيق اسد الله اسماعيليان، ج٤، مطبعة مهر استوار، قم ،١٣١٩، ص١٨٣.
2)الدمشقي ،محمد بن احمد بن ناصر،جواهر المطالب في مناقب الأمام علي (ع)، تحقيق الشيخ محمد باقر المعموري، ج٢،ط١، باسدار اسلام ،قم ، ١٤١٦،ص ١١٤.
3) الكرباسي، محمد صادق، انه المؤمن حقا،مراجعة وتقديم نضير رشيد الخزرجي،ج١ ،بيت العلم للنابهين، بيروت، ٢٠١٢، ص٨٠.
٤)الغري في تعيين قبر الأمام علي بن ابي طالب في النجف، ط٢، ١٩٦٣، ص٢٧.
5) المجلسي ،محمد باقر، بحار الانوار الجامعة للدر اخبار الائمة الاطهار، ،ج١١ ، ص١٤٩.
6)طاووس ، غياث الدين عبد الكريم، فرحة الغري في تعيين قبر الأمام علي بن ابي طالب في النجف، ط٢، ١٩٦٣، ص٢٧.
7)الحسني،محمد علي، فضل الكوفة وفضل اهلها، مؤسسة اهل البيت، بيروت، ١٩٨١، ص٤٢.
8) الكليني،ابي جعفر بن يعقوب بن إسحاق ، فروع الكافي ، تحقيق علي أكبر الغفاري ،ط٣، ج٣، ١٣٦٧، ص٢٤٣.
9)المغربي،المعمدان بن محمد التميمي،شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار،ط٢، ج٣،مؤسسة النشر الاعلامي، قم ،١٤٣١، ص١٦٢.
10)الامين، محسن، اعيان الشيعة ،تحقيق حسن الامين،ج١، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣، ص٥٣٥.
11)البغدادي ،المفيد الأمام اعبد الله محمد بن محمد بن النعمان، الارشاد في معرفة حجيج الله على العباد، تحقيق مؤسسة ال البيت عليهم السلام لأحياء التراث، ط ٢ ،ج ١ ، دار مفيد ، بيروت، ١٩٩٣، ص ٢٥.
12)أبن الحديد، ، أبو حامد المعتزلي،شرح نهج البلاغة،تحقيق محمد عبد الكريم الشمري، ط١، ج٦، دار الكتب العلميه، بيروت،١٩٩٨، ص٧٦.
13) الريشهري، محمد، موسوعة الأمام علي بن ابي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ ،تحقيق السيد محمد كاظم الطباطبائي و السيد محمود الطباطبائي،ط٢، ج٧، دار الحديث، ١٤٢٥، ص٣٠٢.
14)حرز الدين ،عبد الرزاق دفتر، تفسير القرأن الكريم لأبي حمزه الثمالي، مطبعة الهادي، ١٣٧٨، ص٧٥.
15)الليون،فاتن محمد خليل، احتجاجات الأمام الصادق وتوحيد المفضل ،ط ١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢، ص١٤.
16)حواري،محمد بن حامد، مقارنة سير ائمة الشريعة، دار الرؤية،٢٠٠٦، ص٢٤
17)القمي، عباس ، مفاتيح الجنان ، نشر مؤسسة الاعلمي، ٢٠١٨، ص٧٢٢.
18)أبن قولوية، ابي قاسم جعفر بن محمد، كامل الزيارات، تحقيق الشيخ جواد الفيومي، ط١، مؤسسة النشر الاسلاميه،ص ٨٥.
19)الحكيم، حسن عيسى، الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العلمي، ط١، امانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به، ١٤٣٢، ص٧٠.
20)علي، عبد الرحيم محمد،فصول من تاريخ النجف، توثيق كامل سلمان الجبوري، ٢٠١٢، ص٢٣.
21)الحكيم،حسن عيسى، المفصل في تاريخ النجف الأشرف، ط١، ج١، ١٤٢٧,ص١٨٦.
22)الفرطوسي،صلاح مهدي، رجال من بقيع الثوية الكوفة،ط ١، امانة مسجد ،الكوفة،٢٠١٢، ص١٣.
23)نصر الله ،عباس، النجف الاشرف الق المعرفة و وهج ونضال، ط ١، مطبعة دار القارئ ،بيروت، ٢٠١٤، ص٢٢
24)حرز الدين،محمد حسين علي بن محمد،تاريخ النجف الاشرف،ط١،ج١، ١٣٨٥،ص٥٣.
25)محمد بن زيد الداعي:هو محمد بن زيد بن اسماعيل بن زيد الحسن السبط (ع) ملك طبرستان المعروف بالداعي الصغيرهومن اقام عمارة على المرقد المطهربعد ان هدم الدور وقبة المرقدالخليفة المتوكل، وربما هذه العمارة تنسب إلى أخيه الحسن بن زيد الملقب بالداعي الكبير .ال محبوبة، جعفر باقر ،ماضي النجف وحاضرها،ط٢، دار الاضواء،بيروت،١٩٨٦، ص٤٢.
26) عضد الدولة:هو أبو شجاع فناخسرو بن الحسن بن بويه الملقب عضد الدولة وهو أحد ملوك بني بوية تولى حكم العراق لمدة خمس سنوات ونصف تقريبا وتوفي في بغداد سنة ٣٧٢ ه واوصى أن يدفن في الروضة الحيدرية .الموسوي، تحسين، مرقد الأمام الحسين (عليه السلام)،ط١ ،دار الفقة،قم ، ١٤٢١، ص١٤٦.
27)الاسدي، كريم مرز ، الكوفة الاطوار المبكرة للنجف الإشراف ،ط١، ٢٠٠٧ ، ص٣٠١.
28)النفيسي، عبدالله فهد،دور الشيعة في تطوير العراق السياسي، ط١، ٢٠١٢، ص٦٩.

29)الخليلي، جعفر ، موسوعة العتبات المقدسة قسم النجف ،ط١، ج١، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ،بيروت، ١٩٧٨، ص٢٣٦.
30) رحلة مدام ديولا فوا من المحمرة إلى البصرة وبغداد ١٢٩٩هـ/١٨٨١م ترجمة علي البصري، مراجعة وتقديم مصطفى جواد،ص١٢٣.
[31])كاظم، محمود الهام، «وصف المرقد العلوي الشريف من خلال كتابات الرحالة الأوربيين في القرن التاسع عشر الميلادي »، مجلة وميض ، ع ٨، دار النهضة العربية ،بيروت، ٢٠٢٠، ص١٧٩.
32)المنصوري،سامي ناظم ،« رسوم دفن الجنائز في مدينة كربلاء خلال العهد العثماني الأخير» ، مجلة السبط، مج ٦ ،ع ٢ ، ٢٠٢٠ ، ص ٤٥-٤٨.
33) الوردي،علي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٢، دار الراشد ، بيروت، ٢٠١٠، ص ٢٧٤.
34)الاصفهاني،محمد مهدي الموسوي،معجم القبور،ج١، مطبعة النجاح ،بغداد،, ١٩٣٩ ص٢٧٥.
35)ال محبوبة،مصدر سابق، ص٩٨
36) السرداب: كلمة فارسية معربة (سردا+اب) وتعني الماء البارد وتنوعت السراديب حسب نوع الاستخدام منها سراديب النوم في فصل الصيف أو سراديب الموتى وسراديب السجون أو المخبأ ، وهي غرفة تحت الأرض المليئة بالقبور.الكرباسي محمد صادق ،تاريخ المراقد،ط١، ٢٠٠٣، ص٣٥٦.
37) بحر العلوم، جعفر، تحفة العالم في شرح خطبة المعالم ،تحقيق احمد علي مجيد الحلي، ط١، ج١، ١٤٣٣، ص٥٥٦.
38) الحكيم، حسن عيسى، المفصل في تاريخ النجف الأشرف تاريخ المرقد الحيدري الشريف ،ج ٢ ،١٤٢٧، ص٣٣٠ و٣٣٦.
39)القتلاوي،كاظم عبود، مشاهيرالمدفونين في الصحن الحيدري،ط١، مطبعة التعارف،١٤٣١، ص٨٩-٩٠
40):www.haydarya.com/?id=46//
41) المقريزي، تقي الدين احمد علي عبد القادر، كتاب الخطط المقريزي، ج٤، مطبعة النيل،مصر، ١٣٢٦، ص٣١٧.
42) الدجيلي، جعفر، موسوعة النجف الأشرف ، ط١، ج١، ١٩٩٣،ص٤٠٧.
43)محمد ، حسين نجيب،وادي السلام ، ط ١، ٢٠١٢، ص٥ ٦
44)ال محبوبة،مصدر سابق ،ص٩٨.
45) حرز الدين، عبد الرزاق، من اثار الاسلامية المندرسة في مدينة النجف الاشرف، أفاق نجفية،ع ١، ٢٠٠٦، ص٢٢٧.
46) المخزومي، صادق، مشهد أمير المؤمنين متخيل التاريخ واثره الاجتماعي، مؤسسة اديان الثقافة والحوار،النجف،٢٠١٢، ص١٥٩.
47) اثيب اليماني: هو رجل صالح من أهل اليمن ولقب بصافي صفا والعبد الصالح ، ودُفن أيام خلافة الامام علي (ع) ،ومرقده يعتبر من المراقد المشهورة والتاريخية في النجف يقابل ضريح الأمام علي (ع). محمد، ، مرجع السابق، ص ٣٤.
48) المظفر ، محسن عبد صاحب وادي السلام في النجف ، ط١ ،١٩٦٤، ص١٥٦.
49)علي وعلوان،تغريد حميد وحميد عبيد ،«تشجير المناطق الصحراوية في مدينة النجف الأشرف ، مجلة العلوم الزراعة العراقية »،جامعة بغداد ، ع ٤٤، ٢٠١٣، ص٧٥٦.
50) ناصر مكي، حسين جعاز و منيره محمد ، «الخصائص الطبيعية واثرها في النشاط الاقتصادي في محافظة النجف الأشرف» ،مجلة البحوث الجغرافية ، جامعة الكوفة، ع ٢٦، ص٧٩ .
51)ميرفا، ياسر طباع صابرينا، النجف بوابة الحكمةالمدينة المقدسة للشيعة تاريخها تراثها مكانتها ، نشر منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة , ٢٠١٤ ،ص١٦٩
52) اليمني، نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ،تحقيق دكتور حسين بن عبدالله العمري، ومطهر بن علي الارياني ودكتور يوسف محمد عبدالله ،ط,١ ج,٦ ،دار الفكرالمعاصر،بيروت، ,١٩٩٩ ص٣٧٥٧.
53)حمودي ، عبد الحميد باسم ، عادات وتقاليد الحياة الشعبية العراقية ، ط,١ ،دار الشؤون الثقافة العامة ،جروس برس،١٩٨٦، ص٧٨ .
54) المخزومي صادق، موسوعة الجغرافية الاجتماعية-النجف الاشرف- ملامح الحضارة والتراث ، ٢٠٢١، ص٤٩٨.
55)عبد الساده، رسول كاظم ، كرامات في المرقد العلوي المطهر، ط,١ دار المتقين ، بيروت، ,٢٠١٣ ، ص٣٠٨.